البَابُ الأَوَّلُ

الصِّدْقُ

تعريف التاج

التَّاجُ حلية محلّية بالذَّهَب الخَالص تُحلَّىٰ بهَا الرَّأْس ، فَتحلُّ مَحَلَّ العمامة، ولا يلبسه إلا من مَلَكْ أو استوْزَر .

قَالَ ابْن مُسْافع :

لَسْتُ كَالْأَشْعَث الْمُعَصَّب بالتَّا
جِ غُلَامٌ سَادَ وَهُوَ فَطِيمُ

ولكُلِ شَيء تَاج هُوَ لَهُ بمثابَةُ الرَّأْسُ ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ ذَلِكَ الشَّيء بذهَابِه ، وَتَاجُ المُرُوءَةُ ، صِدْقُ الحَدِيث .

تَعْرِيفُ المُرُوءَةِ

مَصْدَرُ مَرُؤَ الرَّجلُ يَمْرُؤُ وَهُوَ مأخوذ مِنْ مَادَّة (م ر أ).

قَالَ ابن فارس: الرُّجُولِيَّة، وقال الجوهري: المروءة الإنسانية ولك أن تُشَدِّدَ (بعد قلب الهمزة واواً فتقول: مُرُوَّةٌ).

وقَالَ ابن منظور: المُرُوءَةُ: كَمَالُ الرُّجُولِيَّة [١].

وقَالَ الجرجاني: هي قُوَّةٌ للنَّفْسِ مَبْدَأُ لصُدُورِ الأفْعَالِ الجَمِيلَة عَنْهَا الْمُسْتَتْبِعَة لِلْمَدْحِ شَرعًا وعَقْلاً (وعُرفًا) [٢].

وقَالَ المُقري: الْمُرُوءَةُ آدَابٌ نَفْسَانِيَّةٌ، تَحْمِلُ مُرَاعَاتُهَا الإنْسَانَ عَلَى الوُقُوفِ عِنْدَ مَحَاسِنِ الأخْلاَقِ وجَمِيلُ العَادَاتِ [٣].

---

(١) انظر «مَقَايِيس اللُّغة» و«تَهْذِيبُ اللُّغة» (١٥/٢٨٨) «الصحاح».

(٢) «التَّعْرِيفَات» (٢١٠).

(٣) «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (٢/٢٣٤).

وقَالَ المجدُ ابْن تَيْمِيَة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :

(الْمُرُوءَةُ اسْتِعْمَالُ ما يُجَمِّلُهُ وَيُزَيِنَهُ ، وتَجَنُّب ما يُدَنِّسَهُ ويُشِينَهُ) (١) .

(١) « المحرر » (٢/٢٦٦) .

تعريف الصِّدْق

الصِّدْقُ لُغَةً :

قَالَ ابْنُ مَنْظُور ـ رَحِمَهُ الله ـ :« الصِّدْقُ نَقِيضُ الكذب ، يُقَالَ : صَدَقَهُ الْحَدِيثَ : أَنْبَأَهُ بالصِّدْق ، وَصَدَقْتُ الْقَوْمَ : قُلْتُ لَهُمْ صِدْقًا ، وَرَجُلٌ صَدُوقٌ أَبْلَغُ مِنَ الصَّادق ، والصِّدِّيقُ الدَّائِمُ التَّصْدِيق ، وَيَكُونُ ـ أَيْضًا ـ الَّذِي يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بالْعَمَلِ وَالصِّدِّيقُ الْمُبَالِغُ فِي الصِّدْقِ (١) .

الصِّدْقُ اصْطِلاحًا :

قَالَ الجرجَانِيُّ : مُطَابَقَةُ الْحُكْم لِلْوَاقِعِ ، وهَذَا هُوَ ضِدُّ الْكَذِب (٢) .

وَقَالَ ابن سعدي ـ رَحِمَهُ الله ـ : « الصِّدْقُ استواءُ الظَّاهِرُ والباطن في الاسْتِقَامة على الصراط والكذب بخلاف ذلك » (٣) .

---

(١) لِسَانُ العَرَب (١٠/١٩٢) . (٢) التَّعْرِيفَات (٣٢) .
(٣) « أُصُول وَكُلِّيَات » (آخر كتاب تفسير ابن سعدي » (١١١٣) .

الفصل الأول

أنواع الصدق

الفصل الأول

أنواع الصدق (١)

[١] الصدق في النية :

وَذَلكَ بأَن تَكُونُ النِّيَّةُ خَالصَةٌ للهِ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ فَإِنْ شَابَ النِّيَّة شَيء منَ النَّوايَا الفَاسدَة لَمْ تَكُنْ صَادقَة ، وإِنْ تَكَلَّمَ بلسَانه خلافَ مَا في قَلْبه فَهَذَا دَليْلٌ عَلَىٰ عَدَمِ الصِّدْقُ في ذَلكَ الشيء .

والأدلة في ذلك كثيرة منها :

قَالَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىَ ـ في وَصْف المُنَافقين : ﴿ يقولون بألسنتهم مَا لَيس في قُلُوبهم ﴾ [الفتح : ١١] .

وقال اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىَ ـ : ﴿ من كانَ يُرِيدُ

---

(١) انظر : « نَظرة تَربَوية في خُلُق الصِّدْق » لعبد العزيز الجليل (٩-١٢) بتصرف .

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ .

[هود: ١٥-١٦] .

وَمِنَ الصِّدْق فِي النِّية الصِّدْقُ في العَزِيمة عَلَى الفِعلُ إِذَا تَمَكنَ منْهُ ، لأَنَّ النِّيَةَ قَدْ تَكُون صَادِقَة، لَكِنَّ العَزِيمَة عَلىٰ الفعْل ضَعِيْفَةٌ وصَاحِبُها مُتَرَدد .

وَمِنَ الأدلَّة على الصِّدْق في النِّية :

ما أخْرَجَهُ النِّسَائي منْ حَديث شَدَّاد بن الهاد ، أنَّ رَجُلاً منَ الأعْرَاب جَاءَ إِلىٰ النَّبي - ﷺ - فَآمَنَ به واتَّبَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَىٰ بِهِ النَّبي - ﷺ - بَعْضُ أصْحَابه، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنمَ النَّبيُّ - ﷺ - سَبيًا فَقَسَمَ وقَسَمَ لَهُ ، فَأَعْطَىٰ أَصْحَابهُ مَا قَسَمَ لَهُ ، وَكَانَ يَرْعَىٰ ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْه ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟! ، قَالُوا : قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبيُّ - ﷺ - فَأَخَذَهُ فَجَاءَ به إِلىٰ النَّبيِّ - ﷺ - فَقَالَ : مَا

هَذَا ، قَالَ : « **قَسَمْتُهُ لَك** » ، قَالَ : مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكَ ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ أُرْمَىٰ إِلَىٰ هَا هُنَا - وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقِه - بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ . فَقَالَ : « **إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ** » ، فَلَبِثُوا قَلِيلاً ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ - ﷺ - يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « **أَهُوَ هُوَ** » ؟ ، قَالُوا : نَعَمْ .

قال : « **صَدَقَ اللهَ فَصَدَّقَهُ** » ، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ - ﷺ - ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلاتِه : « **اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا ، أَنَا شَهِيدٌ عَلَىٰ ذَلِكَ** »[1] .

[٢] الصِّدْقُ فِي الأَعْمَالِ :

وَهُوَ اسْتِوَاءُ الأَعْمَالِ عَلَىٰ الأَمْرِ وَالْمُتَابَعَةِ ، وأَنْ يُجَاهِدَ العَبْدُ نَفْسَهُ فِي أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُهُ وَعَلانِيَتُهُ

(١) صَحِيحٌ ، أَخْرَجَهُ النَّسَائِي (٤ / ٦٠) وصَحَّحه شَيخُنا الإمام الوادعي - رَحِمَهُ اللهُ - في « الجَامِع الصحيح » (٣٠٨) .

وَاحِدَة ، وَأَنْ لا تَدُلَ أَعْمَالُهُ الظَّاهِرةُ عَلَىٰ أَمْرٍ فِي بَاطنه لا يَتَّصفُ به حَقِيقَةً كَمَنْ يَتَظَاهَر بالخُشُوع فِي الظَّاهِر والقَلْبُ لَيْسَ كَذَلكَ ، وَغَيْرُ ذَلكَ كَثيرٌ كَالقَوْل باللِّسَان مَا لَيْسَ فِي القَلْب ، فَلابُدَّ مِنْ مُجَاهَدَة النَّفْس عَلَىٰ الصِّدْق فِي الأَعْمَال والاسْتعَانَةُ باللهِ ولُزُوم التَّوْبَة مِنْ جَميع الذُّنُوب فـ « إنَّ مُخَالَفَةَ الظَّاهرَ للباطِنِ وإنْ كَانَتْ عَنْ قَصْد سُمِّيَتْ رِيَاءً،ويَفُوتُ بهَا الإخْلاص، وإنْ كَانَتْ عَنْ غَيرِ قَصْدٍ فَيفُوتُ بهَا الصِّدْق » .

[٣] الصِّدْقُ فِي مَقَامَاتِ الدِّين « العِبَادَة » :

أَعَلَىٰ الدَّرَجَات وأَعَزُّهَا ، الصِّدْقُ فِي مَقَامَات الدِّين ، كَالصِّدْقُ فِي الخَوْف والرَّجَاء والتَّعْظِيم والزُّهْد والرِّضَا والحُبِّ وسَائر هَذه الأُمُور مَبَادِىء يَنْطَلقُ الاسم بظُهُورهَا ، ثُمَّ لهَا غَايَات وحَقَائق ، والصَّادق المُحقق مَنْ نَالَ حَقِيقَتَهَا ، وإذَا غَلَبَ

الشيء، وتَمَّتْ حَقِيقَتُهُ سُمِّي صَاحِبُهُ صَادقًا فيه ، كَمَا يُقَالُ فُلانٌ صَدَقَ القِتَال ، ويُقَالُ : هَذَا هُوَ الخَوْفُ الصَّادِقُ ، وَهَذِهِ هِيَ الشَّهْوَةُ الصَّادِقَة . . . .

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ـ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) ﴾ [الحجرات : ١٥] .

وقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

[٤] الصِّدْقُ في المُعَامَلَةِ :

وَهُوَ أَنْ يُعَامِلَ المُسْلِمُ أَخَاهُ كَمَا يَرْضىٰ الله ، وأنْ يُعَامِلَ النَّاسُ كَافَّةً مُعَامَلَة صَادقة فلا يَغشْهُمْ ، ولا يَخْدَعَهُمْ ، وَلا يُزَوِّر عَلَيْهِم ولا يُغَرَّرَ بهِمْ ، وَمِنْ الصِّدْقِ فِي المُعَامَلَةِ الصِّدْقُ فِي النَّصِيْحةُ والاسْتِشَارَة .

[٥] الصِّدْقُ فِي الأَقْوَالِ :

وَذَلكَ لا يَكُون إلا فِي الأخْبَار،أَوْ مَا يَتَضَمَّن الإخبَار، والخَبَر إمَّا أنْ يَتَعَلَّق بالمَاضِي فلا يُخْبِرُ عَنْ الأشْيَاء ، عَلَىٰ خلاَف مَا هِي عَلَيْه ، أَوْ بالمُسْتَقبل كَالوَفَاءِ بالوَعْد وَالعَهْد (١) .

وَهَذه المَرَتَبَة منْ الصِّدْق هِيَ الَّتي يُحْصر كَثير منَ النَّاس الصِّدْقُ فيْهَا،وَلا يَتَجَاوزُونَهَا إلىٰ غَيْرِهَا ـ وَهِيَ الَّتي أتَطَرَّق إليْهَا فِي رِسَالَتي هَذه ـ لأَنَّهَا مَرَتَبَةً

(١) الإحْيَاء (٤/٥٣٣) .

عَظِيْمَة وتَكْميلهَا مِنْ أَعَزِّ الأُمُور وأشقَّها عَلىٰ النَّفْس ، وَلَكِنَّهَا يَسيرَةً علىٰ مِنْ يَسَّرَهَا اللهُ عَلَيْه ، وَجَاهَدْ نَفْسَهُ فِي تَحْقِيقَها .

صُوَرٌ مِنَ الصِّدْقِ فِي الأَقْوَالِ

[١] الصِّدْقُ فِي نَقْلِ الأَخْبَار :

فَلا يَنْقلُ المُسْلِم إلا الأَخْبَار الصَّادقَة ، وَهَذَا بدَوْره يَتَطلَّب منَ النَّاقلِ التَّثَبُّت فيما يُقال ، واجتنَاب الظُّنُون والأَوهَام والحَذر منَ التَّحَدُّث بكُلِّ مَا يُسْمَعُ ، فَمَنْ حَفظَ لسَانَهُ منَ الأَخْبَار عَنْ الأَشْيَاء عَلىٰ خلاف مَا هِيَ عَلَيْه ، فَهُوَ صَادق في خَبَرهُ ، وَهَذَا يَقْتَضي الابتعَاد عَنْ الظُّنُون والإشَاعَات .

فَفي « الصَّحيحَيْن » منْ حَديْث أَبي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فإنَّ الظَّنَّ أكذَب الحَديث** » (١) .

وَفي « صَحيْح مُسْلم » منْ حَديْث أَبي هُرَيْرَة

---

(١) « رواهُ البُخاري » (٦٠٦٤) ، و« مُسْلم » (٢٥٦٣) .

ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ قَالَ : « كَفَىٰ بِالمَرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ »(١) .

[٢] الصِّدْقُ فِي الوَعْدِ :

لأَنَّ إِعطَاءَ الوَعْد غَالبًا مَا يَكُون بالقَول، فَالوَفَاء بالوَعْد من الصِّدْق في الأَقوَال ، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم : ٥٤] .

[٣] الوَفَاءُ بِالعُقُودِ والعُهُود :

وهَذَا ـ أيضًا ـ من الصِّدْق في الأَقْوَال، فَإِخْلافُ العَهْدُ والغَدْرُ فيه مِنْ أَشَد أَنْوَاع الكَذب.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] .

---

(١) « صحيح مسلم » المقدمة (٥) .

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ [البقرة :١٧٧] .

وَيَجمَعُ الصِّدْقُ فِي الأَقْوَالِ مَا جَاءَ فِي التَّحْذِير مِنْ صِفَات الْمُنَافقين ، كَمَا فِي « الصَّحِيحَيْن » مِنْ حَدِيْث عَبْدُ اللهِ بن عَمْرُو ـ رضي الله عنهما ـ عَن النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : « **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ** » [١] .

(١) « رواهُ البُخَاري » (٣٤) ، و« مُسْلم » (٥٨) ، واللفظ له .

دَوَاعِي الصِّدْق

لَخَّصَ الإمَـام الماوردي ـ رحـمَـهُ اللهُ ـ دَوَاعِي الصِّدْقِ فَقَالَ :

[١] **الْعَقْلُ :** مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مُوْجِبًا لِقُبْحِ الْكَذِبِ .

[٢] **الدِّين :** الوَارِدُ باتِّبَاعِ الصِّدْق ، وحَظْرُ الكَذِب .

[٣] **الْـمُرُوءَةُ :** لأنَّهَا مَانِعَةً مِن الْكَذِبِ بَاعِثَةً عَلَىٰ الصِّدْقِ .

[٤] **حُبَّ الاشْتِهَارِ بِالصِّدْقِ :** حَتَّىٰ لا يُرَدَّ عَلَيْهِ قَوْل ، لا يَلْحَقُهُ نَدَمٌ .

(١) « أدبُ الدُّنيا والدِّين » (٢٧١ – ٢٧٢) .

الفَصْلُ الثَّانِي

فَضْلُ الصِّدْقِ وأَهَمِّيَتُهُ

الفصل الثاني

فضل الصدق وأهميته

[١] أنه امتثال لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٩].

قال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى ـ ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ في أقوالهم وأفعالهم ، وأحوالهم ، الذين أقوالهم صدق وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقًا (١).

[٢] أنه طاعة لرسول الله ـ ﷺ ـ :

ففي « الصحيحين » من حديث عبد الله بن

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٣٣٢) .

مَسْعُود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «عَلَيْكُمْ بالصِّدْق، فإنَّ الصِّدْق يَهْدي إلىٰ الْبِر، وإنَّ الْبِر يَهْدي إلىٰ الْجنَّة، ومَازَال الرَّجُل يَصْدق ويَتحرَّىٰ الصِّدْق حَتَّى يُكْتَب عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإيَّاكُمْ والْكَذب فَإنَّ الْكَذب يَهْدي إلىٰ الْفُجُور، وإنَّ الْفُجُور يَهْدي إلىٰ النَّار، ومَازَال الرَّجُل يَكْذب ويَتحرَّىٰ الْكَذب حَتَّى يُكْتَب عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» (١).

[٢] أنَّ الصِّدْقَ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها:

فَفي «مُسْنَد الإمَام أَحْمَد» عَنْ عَبْد اللهِ بن عَمْرُو بنْ الْعَاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أنَّ رسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: «أَرْبَعٌ إذَا كُنَّ فِيكَ فَلا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ في الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانة، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ» (٢).

---

(١) رواه البُخَاري (٦٠٩٤)، مُسْلم (٢٦٠٧).

(٢) «صَحِيحٌ» أخرجه أحمد (٦٦٥٢)، وصَحَّحَهُ الألبَاني في «الصَّحِيحَة» (٧٣٣).

[٤] الصدق طمأنينة:

الصِّدْقُ سَبَبٌ لطمأنينة النَّفس وانشراحُ الصَّدْرُ وذَهَاب الْقَلَقِ والاضْطِرَابُ عَنِ الْنَّفْسِ ولابُدَّ .

فَفي « مُسْنَد الإمَام أَحْمَد » عَنْ أَبي الْحَوْرَاء قَالَ : قُلْتُ لِلْحَسن بن عَليّ ـ رضي الله عنهما ـ : مَا حَفِظْتُ منْ رَسُول الله ـ ﷺ ـ ، قَالَ : حَفَظْتُ منْهُ : « **الصِّدْقُ طَمْأَنِينَةٌ**(١) ، **والْكَذِبُ رِيبَةٌ**(٢) »(٣) .

وَهَذَا وَاقعٌ فِي حَيَاة النَّاس ، فَالصِّدْقُ يَبْعَثُ عَلَىٰ الْطُّمَأنِينَة الَّتِي هِيَ وَجْهٌ مِنْ وُجُوهِ الرَّاحَة وَسُرُورِ النَّفْس ،

---

(١) « الصِّدْق طمأنينة » أي أن الصِّدْق يطمئن إليه القَلب ويَسْكَن ، انظر « تُحْفَة الأحْوَذي » (٧/١٨٧) .

(٢) « الكَذب رِيبَة » أي قَلَق النَّفس واضطرابها ، انظر : « مرقاة المصابيح » (٦/٢٤) .

(٣) « صَحِيحٌ » مُسند الإمام أحمد (١٧٢٢) وسُنن التِّرمذي ٢٦٥٠٠ ، وصَحَحَهُ الألباني ـ رَحِمَه الله ـ في « صحيح سُنن الترمذي (٢٠٤٥) ، وصححهُ شيخنا الوادعي ـ رَحِمَه الله ـ في « الجَامع الصَّحيح » (٣٨١٧) .

وَلَذَّة الْقَلْب ، وَنَعيم الرُّوْح .

والْكَذبُ سَبَبٌ لَضيقُ الْصَّدْرُ، وَسجْنُ الْقَلْب ، وهَذَا مِمَّا دَلَّ عَلَيْه الْحَديث ، وَمِمَّا أشَارَ إِلَيْه الْعلِّمُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذبَ الْكَذبَة يَحْمَرُ وَجْهَهُ وَتَزْدَادُ ضَرَّبةُ قَلْبه ، وَذَلكَ بدَايَةُ الْهَمِّ والْغَمِّ وَالْنَّكَد .

قَالَ ابن حَزْم ـ رَحمَهُ الله ـ « أَعْدلُ الْشُّهُود عَلَىٰ الْمَطْبُوع عَلَىٰ الصِّدْق وَجْهُهُ لظُهُور الاسْترَابة عَلَيْه إِنْ وَقَعَ في كَذْبَة ، أَوَ هَمَّ بهَا، وأَعدَلُ الشُّهُود عَلَىٰ الكَذَّاب لسَانُهُ ؛ لاضْطرَابه ، وَنَقْض بَعْض كَلامه بَعْضًا (١) .

وَقَالَ الشَّاعرُ :

إِنْ يَكُنْ في الْكَلام صدْقٌ وَكَذبٌ
وَلَدَىٰ الْقَلْب سرُّهُ المكْنُونُ (٢)
فَعَلَىٰ الصِّدْق في الْعُيون دَليْلٌ
وَعَلَىٰ الوَجْه شَاهدٌ لا يَميْنُ

(١) « الأخْلاقُ والسِّيَر » (١٧٩) .
(٢) المكْنُونةُ : المسْتُور .

[٥] الصِّدْقُ مِنْ مَصَايِدِ الشَّرَف :

كَانَ عَرب الجَاهليِّة يُصدِّقونَ في الحْديث ؛ لأَنَّهُ يَزْيدُ الشْريف شَرَفًا وَيَرَوْنَ الكَذْبَ مِنْ أَفْحَش العُيوب المُسْقطَةُ للرَّجُل ، بَلْ ويأْنَفُونَ مِنَ الْكَذبِ عَلَىٰ العَدُوْ كَمَا يَأنَفُونَ مِنَ الْكَذبِ عَلَىٰ الصَّديق .

فَفي « الصَّحيحَيْن » مِنْ حَديث ابن عَبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ أَبَا سُفْيَان ـ رضي الله عنه ـ أَخْبَرَهُ أنَّ هرَقلَ دَعَاهُم ، وَدَعَا بتُرْجُمَانَهُ ، فَقَالَ : « أَيُّكُمْ أَقَرَب نَسَبًا بهَذَا الرَّجُلِ الَّذْي يَزْعُمْ أَنَّهُ نَبيٌّ ؟ » .

فَقَالَ أَبُوْ سُفْيَان : « فَقُلْتُ : « أَنَا أَقَرَبُهُمْ نَسَبًا » .

فَقَالَ : « أَدْنُوهُ منِّي ، وقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ ، فَاْجْعَلُوهُمْ عِنَدَ ظَهْرِه » ، ثُمَّ قَالَ لتُرْجُمَانه : « قُلْ لَهُمْ : إِنِّي سَائل هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوه » .

فَوالله ! لَوْلا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يأْثُرُوا عَلَيَّ كَذبًا

لَكَذَبْتُ عَلَيْه »[١] .

قَالَ القُرطُبْي في شَرْحه للحَديْثُ : « وَفيْه مَا يَدُلُ عَلَىٰ أَنَّ الْكَذبَ مَذْمُوم فِي الْجَاهلِيَّة والإسْلام ، وَأَنَّهُ لَيْسَ منْ خُلُق الكرَام »[٢] .

كَذَلكَ الصِّدْقُ يَزيدُ الشَّريف شَرفًا ، كَمَا يَضَع الكَذْب منْ قَدْره مَهْمَا كَانَ شَرَفه .

كَمْ منْ حَسيْبٍ كَريْمٍ كَانَ ذَا شَرَف
قَدْ شَانَهُ الْكَذْبُ وَسْطَ الْحَيِّ إنْ عَمَدَا
وآخَرٌ كَانَ صُعْلُوْكًا ، فَشَرَّفَهُ
صدْقُ الْحَدْيث وَقَوْل جَانَبَ الْفَنَدَا
فَصَارَ هَذَا شَريْفًا فَوْقَ صَاحبه
وَصَارَ هَذَا وَضيْعًا تَحْتَهُ أَبَدَاً[٣]

---

(١) رواهُ البُخَاري (٦) ، مُسْلم (١٧٧٣) .
(٢) المفهم (٣/٦٠٤) .
(٣) رَوْضَةُ العُقَلاء (٥٥) .

[٦] الصِّدْقُ نَجَاةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ :

مَنْ صَدَقَ فِي أَقْوَالِهِ وأَعْمَالِهِ نَجَّاه صِدْقُهُ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلابُدَّ ، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ **هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** ﴾ [المائدة : ١١٩] .

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ الطَّوِيلِ وَفِيهِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ لَمَّا تَخَلَّفَ عَنْ الْغَزْوِ : « إِنِّي واللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ،وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، وَلَكِنِّي واللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ ، ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ : واللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، واللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « **أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ** » (١) .

(١) « رَوَاهُ البُخَارِي » (٤٤١٨) وَ« مُسْلِم » (٢٧٦٩) .

ثُمَّ مَاذَا كَانَتُ النَّتِيجَةُ ، لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ تَوْبَةً عَظِيمَةً وَأَنْزَلَ فِي شَأْنِه قُرْآنًا يُتْلَىٰ إِلىٰ قِيَامِ السَّاعَة .

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ـ:﴿ **وعلى الثَّلاثة** (١) **الَّذين خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة :١١٨] .

حَقًا إِنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَلِيغَة نَسْتَلّهم مِنْهَا الْعِبَرُ فِي الصِّدْق .

قَالَ الْشَّعْبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : « عَلَيْكَ بِالصِّدْقُ حَيْثُ تَرَىٰ أَنَّهُ يَضُرُّكَ فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ ، وَاجْتَنِبْ الْكَذِبَ حَيْثُ تَرَىٰ أَنَّهُ يَنْفَعُكَ فَإِنَّهُ يَضُرُّكَ » (٢) .

وَقَالَ ابنُ حِبَّانُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : كُلُّ شَيْءٍ يُسْتَعَار لِيُتَجَمَّلَ بِه سَهْلٌ وُجُودُه ، خَلاَ اللِّسَان ، فَإِنَّهُ لاَ يُنَبْيء إِلا عَمَّا عُوِّدَ ، والْصِّدْقُ يُنَجْي والْكَذِبُ

(١) الثلاثةُ هُمْ: كَعْبُ بن مَالك ، وهِلالُ بن أُميَّة ،ومُرَارَةُ بن الربيع.
(٢) «المحاسنُ والمساوئ» (٤٣٢) .

يُرْدِي ، وَمَنْ غَلَبَ لِسَانَهُ أَمْرُهُ قَوَّمَهُ ، وَمَنْ أَكْثَرَ الْكَذِبْ لَمْ يَتْرُكَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا يَصْدُقُ بِهِ ، وَلاَ يَكْذِبُ إِلا مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ » (١).

وقَالَ الشَّاعِرُ:

الْكَذِبُ مُرْدِيكَ ، وَإِنْ لَمْ تَخَفْ
والصِّدْقُ مُنْجِيكَ عَلَىٰ كُلِّ حَالْ
فَانْطِقْ بِمَا شِئْتَ تَجِدُ غِبَّهُ(٢)
لَمْ تُبْتَخَسْ وَزْنَهُ مِثْقَالْ (٣)

(١) « رَوْضَةُ العُقَلاء » (٥٢) .
(٢) غِبَّ الشيء : عَاقِبَتُه .
(٣) لم تُبْتَخس : لم تنقص .

[٧] الصدق مع الصادقين يوم القيامة :

الصَّادقُ دَرَجَتُهُ تَالِيَة لدَرَجَة الرِّسَالَة والنُّبوة ، الَّتي هيَ أَرَفْعُ دَرَجَات الْعَالَمِين .

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ﴾[النساء :٦٩] .

وَفِي « الصَّحِيحَيْن » منْ حَديث عَبْدُ الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصْدَقَ حَتَّى يُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا** » .

قَالَ الْعَلاَّمَةُ ابن الْقَيِّمْ ـ رَحِمَهُ الله ـ : « فَجَعَلَ الصِّدْقُ مُفْتَاحَ الصِّدِّيقِيَّة وَمَبْدَأَهَا ، وهيَ غَايَتَهُ ، فَلا يَنَالُ دَرَجَتُهَا كَاذِبٌ أَلبَتَّه لا فِي قَوْلِه ، ولا فِي عَمَلِه ، وَلا فِي حَالِه [١] .

---

(١) مَدَارِجُ السَّالكين » (٣/ ١٢) .

[٨] الصِّدْقُ مِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ :

فَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » مِنْ حَدِيثِ حَكِيمِ بن حزام - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ : « **الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَالَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا** » (١) .

قَالَ الإمامُ ابن أَبِي جمرة : « وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لا تحصلُ الدُّنْيَا إلا بالآخرَة ، يُؤخَذُ ذَلِكَ مِنْ أَنَّهُ لَمْ تَحْصل لَهُمَا الْبَرَكَةُ إلا بالصِّدْق ،وَهُوَ مِنْ أَكْمَلِ صِفَاتُ الإِيمَانُ ، وَقَالَ أَهْلُ التَّحقيق : « مَنْ صَدَقَ قُرِّبَ لا مَحَالَة » .

وَقَدْ بَيَّنَ - ﷺ - هَذَا حَيْثُ قَالَ : « **لا يُنَال مَا عِنْدَ اللهِ إلا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ** (٢) » (٣) .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِي (٢١١٠) ، ومُسلم (١٥٣٣) .

(٢) (مُجَمَّع الزوائد) (٤ / ٧١) ، وقَالَ الألباني - رحمه الله - في « صحيح التَّرغيبُ والتَّرهيب » (٢ / ٣١٢) ، حسنٌ صَحِيح .

(٣) « فَتحُ البَارِي » (٤ / ٣٢٩) .

[٩] الصدقُ هو المميزُ بينَ المؤمنِ والمنافقِ :

قالَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ ـ : ﴿ ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ من قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبينَ (٣) ﴾ [العنكبوت : ١٣] .

وفي « الصَّحيحَيْن » منْ حَديثِ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ﷺ : « **آيَةُ الْمُنافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** » (١) .

قالَ ابنُ الْقَيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : « والإِيمانُ أَساسُهُ الصِّدْقُ ، والنِّفاقُ أَساسُهُ الْكَذِبُ ، فَلا يَجْتَمِعُ كَذِبٌ وإِيمانٌ إِلا وأَحَدُهُمَا مُحارِبٌ لِلآخَرِ (٢) .

---

(١) « رَواهُ البُخاري » (٣٣) ، و« مُسْلِم » (٥٩) .
(٢) « مَدارِجُ السَّالِكين » (٣/٧) .

وقالَ الشَّاعرُ:

الصِّـــــدْقُ أَوْلَىٰ مَـــــا بـه
دَانَ امْـــرُؤٌ فَـــاْجْـــعَلْهُ دَيْنَا
وَدَعِ النِّفَـــاقُ فَـــمَـــا رَأَيْـــ
ـتُ مُنَافِـــقًـــا إلا مَـــهِـــينَا[1]

(١) « مَدَارِجُ السَّالكين » (٢/ ٢٩٠).

[١٠] الصادقُ يجعلُ اللهُ لهُ لسانَ صدقٍ في الآخرين :

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ عَنْ إِبْرَاهِيم وذُرِّيَّتِهُ مِنْ الأَنْبِيَاء والرُّسُل ـ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامَه : ﴿ **وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** ﴾ [مريم : ٥٠] .

قَالَ ابنُ الْقَيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَالْمُرَادُ باللِّسَان هَاهُنا : الثَّنَاءُ الْحَسَن ؛ فَلَمَّا كَانَ الْصِّدْقُ باللِّسَان وَهُوَ مَحَلَّهُ أَطْلَقَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَلْسنَة الْعِبَاد بِالْثَنَاءِ عَلَىٰ الْصَّادق جَزَاءً وِفَاقًا ، وَعَبَّرَ بِهِ عَنْهُ » (١) .

(١) « مَدَارِجُ السَّالكين » (٣/ ١١) .

[١١] الصِّدْقُ مَدْعَاة لِقَبُول الحَدِيث :

مَنْ لَزِمَ الصِّدْقَ وَعُرِفَ بِهِ بَيْنَ النَّاس وَثَقُوا بِهِ بِحَيْثُ إِذَا حَدَّثَ انْقَادُوا لِحَدِيْثِهِ ؛ لأَنَّهُ عُرِفَ بِالصِّدْق وَلَمْ يُجَرِّبُوا عَلَيْهِ الْكَذِب .

فَفِي « الصَّحِيْحَيْنِ » مِنْ حَدِيث ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - حَتَّىٰ صَعِدَا الصَّفَا . . . فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « **أَرَأَيْتُم لَوْ أَخْبَرتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟** ، قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ، قَالَ : **فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَاب شَدِيد** » .

وَفِي رِوَايَة لِلْبُخَارِي : « « **أَرَأَيْتُم لَوْ أَخْبَرتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي** ، قَالُوا : بَلَىٰ »[١] .

فَالنَّبِيُّ - ﷺ - مَا كَذَبَ قَطْ ، وَعُرِفَ ذَلِكَ عَنْهُ قَوْمُهُ فَكَانُوا يُلَقِّبُونَهُ بِالصَّادِقِ الأَمِين ، وَلَمَّا بُعِثَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِي (٦) ، مُسْلِم (١٧٧٣) .

بالرِّسَالة عُرِفَ ذَلكَ بصدْقه في حَديث النَّاس .

فَفي حَديْث أَبي سُفْيان الطَّويل مع هرَقل وَفيه : « وَسَأَلْتُكَ : هل كُنْتُم تَتَّهمُونَهُ بالكَذب قَبْل أَنْ يَقُولُ مَا قَالَ ؟ ، فَزَعَمْت أَنْ لاَ ، فَقَدْ عَرَفْت أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْع الْكَذِبَ عَلَىٰ النَّاس ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذبَ عَلَىٰ الله »[١] .

(١) رَوَاهُ البُخَاري (٧) ، ومُسْلِم (١٧٧٣) .

[١٢] الصدق له بيت في وسط الجنة :

انْظُر ـ أَيُّهَا الأَخ الْكَرِيم ـ إِلى جود رَبِّكَ وَعَظِيْمَ امتنَانَهُ يَدُلُّك عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ ثُمَّ يُرَتِّب جَوَائِزْ عَظِيْمة لِمَن اتَّبَعَ أَمْرَهُ وَرَضِى قَوْلَهُ .

فَفِي « سُنَنُ أَبِي دَاوُد » مِنْ حَدِيْث أَبِي أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « **أَنَا زَعِيْمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّة** (١) ، **لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًا ، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الجَنَّة لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ** » (٢) .

---

(١) رَبَض الجَنَّة : أي ما حولها من خارج عنها .

(٢) « حَسَنٌ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد (٤٨٠٠) ، وحَسَّنه الألباني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في « الصَّحِيْحَةُ » (٢٧٣) .

[١٣] الصِّدْقُ عِزٌ:

الرَّجُلُ الصَّادقُ فِي أَقْوَالِهُ وأَفْعَالِهُ عَزِيزٌ إِلَىٰ الْغَايَة تَقْصر عنْهُ كُلُّ نِهَايَة لِثِقَتِه مِمَّا يَقُولُ ويَفْعَلُ لا يَتَرَدَّد وَلا يَتَلَكأ وَلا يَتَلَعْثم .

وَالكَاذبُ عَديمُ الثِّقَةُ بِنَفْسه تَسْتَفزَّهُ التَّوَافهُ ، وَيَحْسب كُلَّ صيْحَة عَلَيْه ، مَتَى رَدَدتَ عَلَيْه قَوْلَهُ بُهتَ وَهَابَكَ ، وَإِنْ جَامَلْتَهُ فِي كَذبه ، وَسَكَتَّ عَنْهُ اعْتَقَدَ فِيكَ الْجَهل لسُوءِ ظَنِّهُ بِنَفْسه فَأَيُّ ذُلٍّ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا ؟ .

قَالَ الأَحْنَفُ بن قَيْس : « يَا بُنَيْ ، يَكْفِيكَ مِنْ شَرَف الصِّدْق أَنْ الصَّادق يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي عَدُوُهُ ، وَمِنْ دَنَاءَةُ الكَذب أَنَّ الكَاذبَ لا يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي صَدِيْقَهُ وَلا عَدُوُهُ ، لِكُلِّ شيءٍ حِلْيَة ، وَحِلْيَة المَنْطِقُ الصِّدْق يَدُلُّ عَلَىٰ اعتدَال وَوَزن العقل[١] .

وَقَالَ العُلَمَاءُ :مَنْ صَدَقَ فِي مَقَالَهُ زَاد فِي

(١) « الصِّدْقُ » للصَّغِيْرُ (٢٠) .

جَمَالَهُ (١).

وَقَالَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ « لأَن يَضَعُنِي الصِّدْقُ ـ وَقَلَّمَا يَفْعُلُ ـ أَحَبُّ إِلَيَّ أن يَرْفَعُنِي الكَذِبَ ـ وَقَلَّمَا يَفْعُلُ ـ (٢).

وَقِيْلَ : ثَلاثَةٌ لا تُخْطِئُ الصَّادِقَ : الحَلاوَةُ ، والمِلاحَةُ ، والهَيْبَةُ » (٣).

وَقِيْلَ : « عَلَيْكَ بالصِّدْقِ ، فَمَا السَّيْفُ القَاطِعُ فِي كَفِ الرَّجُلُ الشُّجَاعِ بِأَعَزَّ مِنْ الصِّدْقِ، والصِّدْقُ عِزٌّ وَإِنْ كَانَ فيه مَا تَكْرَهُ،وَالكَذِبَ ذُلٌّ وَإِنْ كَانَ فيه مَا تُحِبُّ »(٤).

وَقِيْلَ : « الصِّدْقُ عِزٌّ ، والكَذِبُ خُضُوعٍ » (٥).

وَقِيْلَ : « مَا ذَلَّ ذُو صِدْقٍ وَلَوْ اتْفَقَ الْعَالَمِ عَلَيْهِ »(٦).

فَإِذَا كَانَ الصِّدْقُ طَرِيقُ العِزِّ ، فَحَرِيٌّ بِالمَرءِ أَنْ

---

(١) « المَرْجِعُ السابق » (٢١) .
(٢) « أدب الدُّنْيَا والدِّين » (٢٥٥) .
(٣) « مَدَارِج السَّالكِينَ » (٢/٢٩٠) .
(٤) « المَحَاسِنُ والأَضْدَاد » للجاحظ (٣٤) .
(٥) « المَرْجِعُ السابق » (٣٤) .
(٦) « مُحَاضَرَات الأُدَبَاء » (١/٢٤٧) .

يَعظَ عَلَيْه نَاجذَتَهُ وَيَشُدَّ به خَاصرَته ، وَلَوْ كَانَ فيه هَلاكَهُ فَإنَ فيه نَجَاتَهُ .

عَلَيْكَ بالصِّـــــدْق وَلَوْ أَنَّهُ
أَحْـــرَقَكَ بنَار الوَعـــيـــد
وابْغَ رِضَىٰ اللهِ فَـــأَبْغَىٰ الوَرَىٰ
مَنْ أَسْخَطَ المَوْلَىٰ وَأَرْضَىٰ العَبيد

الفصل الثالث

الأمور المعينة على الصدق

الفصل الثالث

الأمور المعينة على الصدق (١)

[١] الاستعانة بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ :

وذلك بسؤاله الإعانة والتسديد والتوفيق ، فمن أعانه الله ووفقه هانت عليه المصاعب ، وخفت عليه المتاعب ، كما قيل :

إذا صح عون الخالق المرء لم يجد
عسيرا من الآمال إلا ميسرا

أما إذا خذل الإنسان ووكل إلى نفسه ، فإنه سيخيب مسعاه ، ويضيع جهده ، كما قيل :

---

(١) انظر : « رسائل في التربية والأخلاق والسلوك » لمحمد بن إبراهيم الحمد (٢٣٨ - ٢٤٠) .

إِذَاْ لَمْ يَكُنْ عَـوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَـتَى
فَـأَوَّلُ مَـاْ يَجْنِي عَلَيْـهِ اجْتِـهَـاْدُهُ

[٢] مُرَاقَبَةُ اللهِ واسْتِشْعَارُ اطِّلاعِهِ ـ جَلَّ وَعَلا ـ :

فَـإِذَاْ رَاقَبَ العَـبْـدُ رَبَّـهُ ، واسْـتَشْـعَـرَ اطِّلاَعَـهُ عَلَيْـهِ ، واسْـتَـحْضَـرَ أَنَّهُ مَـا يَلْفظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيد انْبَعَثَ إِلىٰ الْتِزَامِ الصِّدْقِ وَتَجَنُّبِ الكَذِبِ .

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ ﴿ **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة :١٣] .

[٣] تَعْوِيدُ النَّفْسِ عَلَىٰ الصِّدْقِ وتَوْطِينُهَا عَلَيْهِ :

وَذَلِكَ بِأَنْ يَتَكَلَّفَ الإِنْسَانُ الصِّدْقَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ؛ حَتَّىٰ تُصْبِحُ سَجِيَّةً لَهُ .

قَالَ ابن حِبَّانُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :« إِنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلا ـ فَضَّلَ اللِّسَانَ عَلَىٰ سَائِرِ الجَوَارِحِ ، وَأَبَانَ فَضِيْلَتَهُ ، بِأَنْ أَنْطَقَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ بِتَوْحِيْدِهِ ، فَلا يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يُعَوِّدَ آلَةً خَلَقَهَا اللهُ لِلْنُطق

بتوحيده بالكذب ، بل يجب المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه في دراية ؛ لأن اللسان يقتضي ما عود إن صدقا فصدقا ، وإن كذبا فكذبا .

ولقد أحسن الذي يقول :

عوِّدْ لسانك قولَ الخيرِ تحظَ به
إنَّ اللسانَ لما عوَّدتَ مُعتادُ
مُوكَلٌ بتقاضي ما سننتَ له
فاختَرْ لنفسكَ وانظُرْ كيفَ تُرتَادُ؟(١)

[٤] النظر في العواقب :

وذلك باستحضار فضائل الصدق العاجلة والآجلة ، لينبعث إليه ،واستحضار قبائح الكذب العاجلة والآجلة، ليبتعد عنه ويتجنبه .

[٥] تنشئة الصغار على الصدق :

وذلك بتحبيب الصدق إليهم، وتشجيعهم ،

(١) « روضة العقلاء » (٥١) .

وَحَفْزَهُمْ عَلَىٰ قَولِ الصِّدْقِ، وَبَتجنيبَهُمْ الْكَذِبَ ، وَتَقْبِيحَهُ فِي نُفُوسَهُمْ وَمَعَاقَبَتِهِم عَلَيْهِ .

[٦] الحِرْصُ عَلَىٰ أداءِ الصَّلاة وتَكْمِيلِهَا وإعْطَائِهَا حَقَّهَا :

الحِرْصُ عَلَىٰ أَدَاءِ الصَّلاة وتَكْمِيلِهَا وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا مِنْ الخُشُوعِ وَغَيْرِه ؛ لأَنَّ الْصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، والْكَذِبُ مِنْ جُمْلَةِ مَا تَنْهَىٰ عَنْهُ الصَّلاَةُ مِنْ مُنْكَرٍ ، فَإِذَا أَعْطَهَا الإِنْسَانُ حَقَّهَا نَالَ أَعْلَىٰ المَطَالِب ، وَأَشْرَفَ المَوَاهِب ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلاَقِ المُؤْمِنِينَ وَعِبَادَ اللهِ الصَّالِحِينَ ، وَالَّتِي مِنْهَا بَلْ مِنْ أَعْلاهَا الصِّدْقُ .

[٧] مُعَاشَرَةُ الصَّادِقِينَ ومُجَانَبَةُ الْكَاذِبِيْن :

ذَلِكَ أَنَّ المُعَاشَرَةَ تَسْتَدْعِي تَأَثُّرَ الإِنْسَانِ بِمَنْ يُعَاشِرُهُ وَيُخَالِطُهُ ، فَإِذَا مَا عَاشَرَ الإِنْسَانُ الصَّادِقِيْنَ الأَخْيَارَ فَإِنَّهُ سَيَتَأَثَّرُ بِصِدْقِهِمْ وسِمْتِهِم وَهَدْيِهِم؛ فَالصَّاحِبُ سَاحِبٌ، وَالْطَّبعُ اسْتِرَاقٌ .

وَكَذَلِكَ إِذَا نَأَىٰ بِنَفْسِهِ عَنْ مُجَالَسَةِ الْكَاذِبِيْنَ فَإِنَّهُ سَيَسْلَمُ مِنْ أَثَرِهِمْ الْسَيِّءِ ، فَتَبْقَىٰ صُورَةُ الْكَذِبِ قَبِيْحَةً فِي ذِهْنِهِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا عَاشَرَهُمْ فَإِنَّهُ سَيَأْخُذُ مِنْ طِبَاعِهِمْ الْسَيِّئَةِ ، وَسَيَسْتَمْرِئُ الْكَذِبَ ، وَلَا يَعُودُ يُنْكِرُهُ .

[٨] الإكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ القُرآنِ بِالتَدَبُّرِ والتَّعَقل:

فَإِذَا أَكْثَرَ الإِنْسَانُ مِنْ قِرَاءَةِ القُرآنُ ، وَحَرِصَ عَلَىٰ تَدَبُّرِ مَعَانِيْهِ ، وَاجْتَهَدَ فِي تَفَهُّمِ مَرَامِيهِ ، فَإِنَّهُ سَيَنْبَعِثُ لِلْصِّدْقِ وَتَرْكِ الْكَذِبِ مِنْ جُمْلَةِ مَا هُوَ أَقْوَمَ .

الفصل الرابع

أثر الصدق في سعادة الفرد

الفصل الرابع

أثر الصدق في سعادة الفرد [١]

للصِّدْق آثارٌ حَميدَةٌ ، وعَوائدُ عَديدَةٌ عَلَىٰ الْفَرْد وعَلَىٰ الْجَمَاعَة ، وَقَدْ مَرَّ بنَا فيْمَا مَضَىٰ شَيْءٌ مِنْ ذَلكَ ، وَفيْمَا يَلي إكْمَال لبَعض مَا مَضَىٰ :

فَمِنْ آثَارِ الصِّدْقِ فِي سَعَادَةِ الْفَرد مَا يَلي :

[١] شَرَفُ الْقَدْرِ وعُلُو المَنْزِلَة :

فَالإنْسَانُ الَّذي يَتَحَلَّىٰ بالصِّدْق يَشْرُفُ قَدْرُهُ ، وتَعْلُو مَنْزلَتُهُ ؛ ذَلكَ أَنَّ الْصِّدْقَ يَدُلُ عَلَىٰ حُسْن السِّيرَة ، ونَقَاء السَّرِيرَة ، وَسُمُو الْهِمَّة ، وَرَجَحَان

(١) انظر : « رسائل الإصلاح » لمحمد الخضر حسين - رحمه الله - (٢/ ١٠١-١٠٢) .

الْعَقل ، كَمَا أَن الْكَذب عنْوَانُ سَفَه الْعَقْل ، وَسُقُوط الْهِمَّة وَخُبْثُ الطَّوِيَة .

فَالصِّدْق حَسَنَةٌ حَمِيْدَة تَنْسَاقُ بِصَاحِبِهَا إِلىٰ الْحَسَنَات ، كَمَا أَنَّ الْكَذب خِصْلَة سَيِّئَة تَنْجَرُّ بِصَاحِبِهَا إِلىٰ السَّيِّئَات .

فَلا يَسْتَقِيمُ لأَحد سُؤدَدٌ ، وَلا تَعْلُو لَهُ مَكَانَةٌ ، وَلا يُحْرِز قَبُولاً فِي قُلُوبِ النَّاس ، إلا إِذَا وَهَبَهُ الله لِسَانَ صِدْقٍ .

فَإِذَا مَا ابْتَغَىٰ بِالكَذب مَنْزِلَة عَلِيَّةً ، فَإِنَّمَا يَتَبَوَّؤُهَا بَيْنَ طَائِفَةً ضُرِبَتْ فِي أَدْمِغَتِهِمْ الْغَبَاوةُ ، أَوْ طَائِفَةً تُؤْثِرُ اللَّهْو عَلَىٰ الجِدِّ ، وَيَشْغَلُهُا الخِدَاعُ عَنِ النَّصِيْحة .

[٢] طِيْبُ الْعَيْشِ :

ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لا يطمْئِنُونَ إلا إِلىٰ مُعَامَلَة الصَّادِق الأَمِين ، وَشَأْنُهُمْ الإِنْصِرَافُ عَمَّنْ أَلِفُوهُ

يَضَع الْكَلِمَةُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعَهَا .

وَقَدْ يَحْرص التَّاجر أَوْ الصَّانع عَلَىٰ درْهَمْ أَوْ دِيْنَار يَقْتَضِيْه بِكَلِمَة غَيْرُ صَادقَة، فَإِذَا هُوَ يَضِيعُ سُمْعَةً طَيِّبَةً ، وَيُحْرز رِبْحًا وَافِرًا، وَالنَّاسُ إِذَا عَلِمُوا صِدْق اللَّهَجَة مِنْ شَخص أَكْرَمُوهُ ، وأَجَلُّوهُ ، وَسَوَّدُوهُ ، وَحَرِصُوا عَلَىٰ صُحْبَتِه ، وَأَصَاخُوا السَّمْع لِقَولَتِهُ ، واسْتَنَارُوا بِرَأْيِه ، وأَخَذُوا بِنُصْحِه .

وَمِنْ هُنَا تَطِيْبُ حَيَاتِه ، وَيَكْثُرُ أُنْسُهُ وَتَسْعَدُ نَفْسَهُ .

[٣] صَفَاءُ الْبَالِ :

فَصَادِقُ اللَّهْجَة يَصْفُوا بَالَهُ، ويُعِينَهُ صِدْقَهُ عَلَىٰ التَّخَلُّص مِنْ الْمُكَدِّرَات، وذَلِكَ مِنْ نَاحِيَتَيْن :

أَوْلَهُمَا : أَن مُرتَكِبَ الْرَذِيلَة لاَ بُدَّ وَأَنْ يَحسُّ بِوَخْزِه فِي ضَمِيْره، وَيُسَمَّىٰ هَذَا: تَوْبِيخ الضَمِير ، والْكَذِبُ مِنْ أَقْطَعِ الْرَذَائِل ، فَوَخْزَة فِي الضَّمِيرِ

غَيْر يَسير.

وَمَتَى سَارَ الإنْسَانُ فِي طَرِيق الصِّدْقُ ، وأَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَذب حصْنًا مَانعًا ، عَاشَ فِي صَفَاء خَاطِر ، وَرَاحةُ ضَمِيْر ، وَلَمْ يَكُنْ لِهَذَا الوخْزِ النَّفسِّي عَلَيْهِ مِنْ سَبِيْلٍ .

أخراهُما : أَنْ مَنْ يُلَطِّخ لِسَانَهُ بِرِجْسِ الْكَذب لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَبْدُو سَرِيرَتُهُ ، وتَنْكَشِفُ سَالِفَتُهُ ، فَيَجُر عَلَيْهِ شُؤْمِ هَذه الرَّذيلَة شقْوَةً ، إِثْرَ شقْوَةً ، فَلا يُلاقِي مِنَ النَّاسِ إلا ازْدِرَاءً وَمَقْتًا ، وَرُبَّمَا رَمُوهُ بِالتَّوْبِيخِ فِي وَجْهَهُ ، وأَسَاءُوا الأَدَب فِي مَعَامَلَتَهُ .

[٤] عِزَّةُ النَّفْسِ :

فالَصَادق تَأْبَىٰ عَلَيْهِ نَفْسَهُ الكَرِيْمَةُ ، وَدِيْنَهُ القَوِيم ، أَنْ يَكْذب ، فَيُسْلِمَ بِذَلِكَ مِنْ تَبِعَات الكَذِبُ ، وَيَنْأَى بِنَفْسِهِ عَنْ ذُلِّ الاعْتِذَار ،

والْتِمَاسُ المُسوْغَات ، الَّتي لا بُدَّ لِلكَاذِب أَنْ يَقَعَ فِيهَا .

[٥] الشَّجَاعَةُ وَالثِّقَةُ فِي النَّفْسِ :

فَالصِّدْقُ يُكْسِبُ الفَرَدُ شَجَاعَةٌ وَثِقَة فِي النَّفْسِ ؛ لأَنَّ الكَاذِب عَلَىٰ وَجَلٍ مِنْ أَنْ يُكْشَفُ أَمْرُهُ، وَيَتَبَيْنُ كَذبه ، فَتَرَاهُ ذَلِيلاً ، خَائفًا مَذْعُوراً ، يَحْسَبُ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِ ، وكُل مَكْرُوهٍ قَاصِداً إِلَيْه .

أَمَّا الصَّادقُ فَيَتَحَرَّك بخُطَىٰ ثَابتَةً ، وَبِثَقَةً عَالِيَةً ، فَسِرُّهُ كَعَلانِيَتَهُ ، وَظُلمَةُ لَيْلِه مِثْلُ ضَوءِ نَهَارِه .

أثرُ الصِّدْقِ في سعَادَةِ الجُمَاعَة (١)

وكَمَا أنَّ للصِّدْقِ أثرًا في سَعَادَةِ الْفَرد فَكَذَلِكَ لَهُ أَثَرٌ في سَعَادةِ الجَمَاعَة .

فَالجَمَاعَةُ تسْعَدُ وَتَنْتَظِمُ شُؤُونَهَا عَلَىٰ قَدْرِ احفَاظِهَا بفضيلةُ الصِّدْق ؛ فَالْمُعَمَلات كَالبَيْع والإجَارَة ، والقَرض ، والشَّرِكَة ـ لا يَتسعُ مَجَالَهَا ، ولا يَسْتَقيمُ سَيْرهَا إلا أن تُدْيرَهَا لَهْجَة صَادقَة .

والأُمَّةُ الَّتي يَسُود فيْهَا الصِّدْق حَتَّى يَكُون القَائمُ بأَي عَمَلٍ مَوْضع ثِقَة الجُمْهُور ؛ تَتَقَدَّم حَالَتَهَا الاقْتصَاديَّة ، ولا يَجدْ عَدُوْهَا الوْسيلَة إلىٰ مُزَاحَمَتهَا في نَحْو التِّجَارة والصِّنَاعَة .

والأُمَّةُ الصَّادقُ أفَرَادهَا تَقْطَعُ عَلَىٰ الْعَدُو فُرصَة التَّغَلغُلُ فيْهَا ، والإيضَاع خلالَهَا ؛ لإفْسَاد وُدِّهَا ،

(١) المرجعُ السَّابقُ (٢/ ١٠٢-١٠٣) .

وَتَفْرِيقُ شَمْلَهَا .

والْصَدَقَات الَّتي تَجْعلُ أَفرَاد الأُمَّة كَالجَسَد الوَاحد ، إِنَّما يَشْتَدُّ رباطَهَا ، وَيَصْلُبُ عُودُها عَلَىٰ قَدْرِ مَا يَكُون لأَفْرَادَهَا منَ الاحتفَاظ بِصدْق اللَّهجة .

وَقَدْ يَكُون للكَاذب صَديق منْ صَنْف أَصْدقَاءُ المَنْفَعَة ، وَلَكنْهُ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَتَخذَ منْ إِخْوَانه الفَضيلَة صَديقًا حَميْمًا .

فَالَّذي يَسْتَهينُ بالكَلمَة الكَاذبَةُ يُطْلقُ بهَا لسَانَهُ ، فَإِنَّهُ يُؤذي نَفْسَهُ ، ويُرْهقُ المَجْتَمَع خَلَلاً ، ويُؤرثَهُ فَسَادًا عَريضًا ؛ فَالكَاذبُ لا يعد عُضْوًا أشَلْ فَحَسب ، إِنَّمَا هُوَ عُضْوًا يَحْملُ دَمًا مَسْمُومًا لا يَلْبَثُ أَنْ يَسْري إِلىٰ الأعْضَاءِ المُتصلَه به فَيُؤذيهَا .